أول جوقة موسيقية في العراق

حكاية أول ملهى في بغداد

عفيفة اسكندر

في عام ١٩٢٨ شرعت أمانة العاصمة في بغداد في إعداد برنامج موسيقي لتسلية الجمهور البغدادي في الحدائق العامة ، بأن يقوم الجوق الموسيقي الذي تشكل حديثا بعزف مقطوعات موسيقية مسلية للجمهور في هذه الحديقة او تلك.مثل هذه الصورة لم تكن موجودة من قبل ، حيث لم تكن هناك حدائق عامة كثيرة في بغداد. وفي العهد العثماني قبل مطلع القرن العشرين ومابعده حتى عشرينيات القرن كان البغداديون يصنعون مناسباتهم وأعيادهم وافراحهم بوسائلهم وأماكنهم الخاصة ويبحثون هنا وهناك عن متنفس يهربون اليه من محلاتهم الضيقة.

منيـــرة الهـــوزوز

فيما كان أهالي بغداد في ذلك الوقت يشاهدون ايضا سباقات الخيل (المنطرد) في باب المعظم أو يذهبون أيضا في مناسبات الأعياد والترفيه الى البساتين المحيطة ببغداد أو منطقة الأعظمية الشهيرة ببساتينها ومزاراتها أو الى منطقة المدائن (طاق كسرى) للتسلية.

ولكن بعد عام ١٩٢٤ أنشأت أمانة العاصمة في بغداد عدة حدائق عامة منها الحديقة العامة في الباب الشرقي التي أقيم عليها بعد ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ نصب الحرية للفنان العراقي جواد سليم. ثم انشات أمانة بغداد حديقة عامة في جانب الكرخ أطلق عليها فيما بعد ...حديقة الزوراء... واخرى مماثلة في باب المعظم.

ولم يكن في بغداد جوق موسيقي آنذاك، سوى الجوق الموسيقى للجيش العراقي الذي مضى على تشكيله عامان(الجوق كلمة تركية تعني الفرقة)، ولكي يستفاد من هذا الجوق في المناسبات والأعياد وافقت وزارة الدفاع العراقية على طلب امانة العاصمة بأن يقوم هذا (الجوق بالعزف للجمهور البغدادي وأداء الألحان والأنغام الشعبية السائدة آنذاك في الأمسيات بالحدائق العامة.

اعلان للجمهور البغدادي الكريم ...تعلن امانة العاصمة للجمهور البغدادي الكريم انه تقرر من الآن فصاعدا ابتداء من ٣١ ديسمبر عام ١٩٢٨ ستقوم موسيقى الجيش بالعزف في ايام السبت من كل اسبوع في حدائق الأمانة، وسيكون العزف أيضا يوم الاثنين في حديقة الباب الشرقي.... فكان هذا الاعلان بشرى أفرحت الجمهور البغدادي المتشوق لوسائل اللهو والترفيه.

أرى بغداد تسبح في الملاهي!

وقد حصل انفتاح على اللهو والملاهي والموسيقى ووسائل الترفيه في بغداد بعد عام ١٩٠٨، العام الذي اعلن فيه الدستور العثماني الذي اعطى الحريات النسبية للمجتمعات والجماعات الدينية والقومية التي كانت تحت الحكم العثماني ورفعت قيودا كثيرة كانت مفروضة على الصحافة والأنشطة الاجتماعية. فظهرت الملاهي والمراقص والجوقات الموسيقية، وتحول العديد من المقاهي الى ملاه ليلية)تياترو) وخصوصا بعد الاحتلال البريطاني الذي سمح بالكثير مما كان محظورا أيام العثمانيين، وصار البغداديون متلهفين لحضور تلك الليالي الحافلة بالرقص والغناء والموسيقى، وكثرت الراقصات اللواتي راح الكثير من البغداديين يتزاحمون عليهن وعلى حضور عروضهن بعد أن كانت حفلات الرقص يؤديها غلمان (ذكور) يتجملون وهم يلبسون ملابس النساء ويتشبهون بهن مثلما كان الحال في حفلات الرقص في مقهى عزاوي ومقهى سبع في الميدان

وكان لليهود دور في اشاعة الموسيقى والغناء، فأغلب عازفي (الجالغي البغدادي) المرافقين لقراء المقام العراقي. وهو الغناءالبغدادي العريق واللون الشائع آنذاك كان معظمهم من اليهود.

كانت موجة كاسحة طاغية من اللهو والترفيه كمايقول المؤرخ . فخري الزبيدي . حيث راحت بعض مقاهي بغداد تتحول الى ملاه في الليل، حتى أن شاعر العراق معروف الرصافي بعد ان عاد من أسطنبول عام ١٩٠٩ وجد انتشار اللهو والملاهي في بغداد فانتقد الحال في قصيدته الشهيرة (بغداد بعد الدستور) ومطلعها

أرى بغداد تسبح في الملاهي
وتعبث بالأوامر والنواهي

وقد نشرت صحيفة الرقيب البغدادية تلك القصيدة في ١٤ تشرين عام ١٩٠٩، وعقبت عليها بالقول:

...أما المراقص وتحشد الناس فيها وتهافتهم عليها فحدث ولاحرج، حتى ان اوسع محل منها وهو قهوة الشط الذي يسع ٧٠٠ شخص لم يزل بعض الناس يدفع رسم الدخولية ويدخل ثم يعود على الفور لعدم وجود محل يجلس فيه....

ويقول المؤرخ عباس بغدادي كانت الملاهي تتجمع في منطقة الميدان التي اصبحت مركز اللهو والمتعة فيما بعد، فهناك أوتيل الهلال وفيه ...بدرية السواس... وفرقتها، لهذا سمي أوتيل بدرية السواس، وهناك ملهى نزهة البدور وقهوة عزاوي. وقد كانت الراقصة بديعة عطش من احلى الراقصات اللواتي قدمن الى بغداد، وهي التي قال فيها الشاعر محمد مهدي الجواهري قصيدته الغزلية الشهيرة التي مطلعها:

...هزي بنصفك وأتركي نصفا
لاتحذري لقوامك القصفا
أبديعة والأنت مقبلة
تستجمعين اللطف والظرفا...

وكانت الراقصات والمغنيات . كما يقول بغدادي . يجلسن على الكراسي بصف واحد في آخر المسرح وأمامهن الموسيقيون في الصف الأول، وكان من اشهر المغنيات والراقصات أنذاك: رحلو، وسلطانة يوسف وصديقة الملاية، وبدرية أم انور، وجليلة العراقية أم سامي، وخديجة علي، وسليمة مردخاي الإيرانية (سليمة باشا) التي كانت الحاكم بأمره في ليالي بغداد في زمانها وكانت تضع على سيارتها علما خاصا بها وتقرض علية القوم الأموال، كذلك بدرية السواس، وبديعة عطش التي مر ذكرها، وفريدة علي وجميلة دنكر وحسيبة ألماز وغيرهن.

حين يلعلع الرصاص وتبرق الخناجر!

وعلى جدار مسرح الملهى كانت توضع لوحة كبيرة كتب عليها ...طلب البستات ممنوع... والبستات هي الأغاني الخفيفة البغدادية الشهيرة التي تعقب أدوار غناء المقام العراقي، فما أن ينتهي المغني من أداء مقام حتى يعقبه بالبستة البغدادية. وسبب منع طلبات البستات هو شدة الطلب وحصول المشاجرات والعراك بين الطلاب من رواد الملهى لدرجة الضرب وسقوط القتلى والجرحى في التنافس على طلب البستات، فالذي يتأخر طلبه أو يتم تفضيل طلب آخر عليه يعتبر ذلك إهانة وتقليلا من شأنه وشأن شواربه! وهي إهانة لايغسلها إلا الدم! فيلعلع الرصاص وتبرق الخناجر في ليل الملهى . ولا تنتهي الليلة إلا بقتيل او قتيلين!!

وغالبا ماتقرأ في الجانب الآخر من الملهى عبارة ...البصاق ممنوع... فرواد الملهى يسكرون(أجلكم الله) فيتحولون الى مبصقة متحركة، أما أجرة الدخول للملهى فكانت اربع آنات (الآنة أربعة فلوس)، وبعد أنتهاء فصل الغناء والرقص يبدأ عادة فصل هزلي يقدمه هزليو ذاك الزمن أمثال جعفر أغا لقلق زادة وهو شارلي شابلن البغدادي في ذاك الزمن واسمه الحقيقي كامل عبد المهدي من اهالي كربلاء، بالاشتراك مع حسقيل أبو البالطوات وهو يهودي هزلي، مختص بالترويج والدعاية آنذاك. وكلاهما ماتا بائسين لاأحد لهما بعد أن كانا يضحكان بغداد كل ليلة.

جوق سليمة مراد

تأسيس البنوك بالعراق

في ٢٠/٧/١٩٤٧ صدر قانون المصرف الوطني بالرقم ٤٣ لسنة ١٩٤٧م، ينص على تأسيس المصرف المركزي الذي يتولى تحقيق الاهداف وصدرت الارادة الملكية المرقمة ٦٦٦ في ٩/١١/١٩٤٧م لتنفيذ قانون المصرف ونفدت الارادة الملكية بتاريخ ١٦ /١١ /١٩٤٧، اذ نشرت بالجريدة الرسمية، وكانت واجبات المصرف الوطني (ادارة العملة وتامين استقرارها وخدمة مالية الدولة وتسهيل التاديات الداخلية والخارجية وترويج وتسهيل الاعتماد لصالح التجارة والصناعة والزراعة بصورة عامة فضلاً عن اصدار العملة، القيام بالاعمال المتعلقة بمراقبة المصارف وتنسيق اعمالها، والقيام بالاعمال المتعلقة بالاتفاقيات الدولية، ومراقبة التحويل الخارجي وحفظ حسابات الحكومة ومعاملات القروض على اختلاف انواعها، فضلاً عن الاعمال الاخرى.

ثم صدر القانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٤٧م والذي نص على تحويل صلاحيات لجنة العملة العراقية الى المصرف الوطني العراقي، واصدر المصرف الوطني العراقي اول وجبة من الاوراق النقدية التي حملت اسمه في ١٧/٩/١٩٥٠م، وقد نقلت موجودات لجنة العملة العراقية الى بنك انكلترا الذي اصبح وكيل المصرف الوطني العراقي في لندن.

تأسيس البنك المركزي العراقي:

في ١/٧/١٩٥٦م نشر في الجريدة الرسمية قانون البنك المركزي العراقي رقم ٧٢ لسنة ١٩٥٦ والذي اصبح بنكا مركزيا للدولة وزيادة راس ماله من خمسة ملايين دينار الى خمسة عشر مليون دينار، وكانت اهم اهداف البنك المركزي العراقي ادارة العملة وتأمين استقرارها والتأثير على وضع الائتمان لمصلحة البلاد والقيام باعمال الصيرفة، وتسهيل التاديات الداخلية والخارجية، ومنح البنك المركزي العراقي صلاحيات اصدار العملة.

من أين جاءت تسمية البتاويين؟

البتاويين مَحلة بغدادية قديمة كانت فيما مضى اي قبل ان تسكن وتعمر عبارة عن بساتين تسقى من نهر دجلة المحاذي لها. كانت تعد من ارياف بغداد، يقول الاب انستاس ماري الكرملي في مباحثه التاريخية عن بغداد ان سكنة (البتاويين) كانوا ينسجون قماش (البتة) الذي كان البغداديون يرتدونه ايام زمان. ومن هنا جاءت تسمية المنطقة التي سكنوها وعمروها واستقروا فيها وظلت تحمل اسمه حتى يومنا هذا الا ان الباحث شاكر البغدادي فند قول الكرملي هذا زاعما ان قوما زحفوا من ارياف منطقة الحلة كانوا يسكنون سابقا قرب نهر فرعي هناك يطلق عليه نهر (البتة) ليستقروا اخيرا في بغداد التي غلبت تسميتهم عليها باسم (البتاويين) تسمية لهؤلاء القادمين من ارياف الحلة الذين كانوا يعملون في (الحياكة) والزراعة. وقد قام احد ولاة بغداد من الاتراك بتمليك هؤلاء الاراضي التي سكنوها.

مظاهر شعبية اختفت من حياتنا

كمال لطيف

من المظاهر الشعبية التي اختفت او كادت تختفي - ام الباجلة التي تستقبل الخبز من العوائل وتربط به خيوطاً ملونة حتى تميزه عن بعضه. وعندما تخرج الخبز المنقع تضع فوقه الباقلاء الناضجة والبطنج ثم - تفركع - فوقه الدهن وتضع بجانبه كمية من الطماطة والبصل وهذه الظاهرة اختفت وحل محلها محال بيع الباكلة ودهن.

كما كانت توجد محال بيع - الكروش - وهي على نوعين كروش الخرفان وكروش البقر - حيث توضع في قدور وتوقد بخشب الرارنج او الطرفة حتى تنضج الكروش وتقطع الى قطع صغيرة وتوضع فوق ارغفة الخبز المنقعة بماء الكروش حيث يرش فوقها دهن العظام. وهذه محال كانت تعمل في النهار والليل ومع مرور الايام اختفت هذه المحال لتحل محلها محال بيع الباجة والمخاخ وهي كراعين البقر التي تطبخ تحت نار وهاجة حتى يصبح شكلها شكل الجلاتين وهناك من يقبل على اكلها بشراهة لما تحمله من فوائد جمة للجسم اما محلات بيع السمك المقلي فكانت هي مظهر شعبي ينتشر في بعض محلات بغداد مثل باب الشيخ وعكد النصارى حيث تضع البائعة امامها طاوة - فيها دهن وتبدأ بوضع شرائح السمك او الجري حتى تحمص وتقدم للزبائن بطبق معه البصل والطرشي والرارنج ونومي الحامض ولاتزال هذه المهن تزاول ولكن بشكل محدود.

اما على مستوى الحرف فقد اختفى - جراخ السجاجين الذي كان يحمل آلته الحجرية المثبتة على خشبة فيها عجلة وسيريدار بالقدم وهو ينادي في المحلات - جراخ سجاجين جراخ سجاجين فكانت النسوة يخرجن بالسكاكين لغرض بردهن وجعلهن صالحات لتقطيع اصناف الطعام وكان يحلو للصغار ان يقفوا امام الشرر المتطاير من الحجر.و من المظاهر التي اختفت . خياط الفرفوري . وهو شخص يحمل عدته ويدور على المقاهي والمحلات وهو ينادي خياط فرفوري.. ومما كان يرممه القواري والصحون حيث يحمل قوسا ومسمارا مدببا يربطه بالخيط بعد برمه ثم يضع النيشان على مكان الثقوب ثم يبدأ بحركة تشبه حركة عازف الربابة وبعد ان يستكمل الثقوب يضع السيور المعدنية ثم يسد الثقوب بمادة الغرة، أو الشريس أو ما شابه ذلك.. ومع كثرة مواد الفرفوري ورخص ثمنها هجرت هذه المهنة.. أما مبيض القدور فكان يدور هو الآخر وينادي . امبيض امبيض . فتخرج النساء ومعهن الطشوت والجداري والصواني والبركان لتزال عنها المادة الصفراء السامة وكان المبيض يزاول في سوق الصفافير.

أما أبو . العتيك للبيع . فلا يزال يزاول هذه المهنة وان كان بشكل محدود لشراء بعض الحاجيات المستهلكة والمستعملة لقاء مبلغ زهيد وهو ينادي . العنده عتيك للبيع العنده زوالي للبيع العنده چربايه للبيع ..

أما النداف فهو الآخر يمثل ظاهرة شعبية انحسرت بعض الشيء في المحلات فهو يحمل عدته مع صانعه ليندف الأفرشة وخاصة العرسان أو من مر على فراشهم زمن طويل يحتاج قطنه الى الندف.. وكان النداف يحضر في البيوت لمزاولة عمله..

أما المنظفون أو ما يطلق عليهم . النزازيح . فقد انقرضت هذه المهنة تماما بعد انشاء مجاري سحب المياه الثقيلة.

وكان هناك الفتاح فال،الذي ينادي . فوال فتاح الفال . وكان يجد عند النسوة رزقا لا بأس به.

أما باعة الملح فكانوا يأتون من البادية مع أبلهم وهم ينادون . ملح.. ملح .

وكان الأطفال يتجمهرون حول البعير عندما يبرك وكان هناك اعتقاد سائد لدى الأطفال ان قدم البعير التي تدوس الأرض تدر حليباً لذا كان الصغار يضعون أصابعهم على الأرض معتقدين انهم يمتصون الحليب..

وهؤلاء الباعة كانوا يجلبون الدهن الحر والأعشاب التي تشفي بعض الأمراض.. وبعض النسوة المرافقات للضعن يمارسن الودع وغالباً ما يكن من الغجر وهن يتمتعن بفراسة عالية.